

أضواء البيان

. @ 145

أما الأول منهما : وهو وجود القرينة الدالة على عدم صحته ، فهو أن قوله تعالى : { وَتَرَى الْجِبَالَ } معطوف على قوله : { فَفَزِعَ } ، وذلك المعطوف عليه مرتب بالفاء على قوله تعالى : { وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ } ، أي : ويوم ينفخ في الصور ، فيفزع من في السماوات وترى الجبال ، فدلّت هذه القرينة القرائنية الواضحة على أن مرّ الجبال مرّ السحاب كائن يوم ينفخ في الصور ، لا الآن . . . وأما الثاني : وهو كون هذا المعنى هو الغالب في القراءان فواضح ؛ لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة ؛ كقوله تعالى : { وَيَوْمَ تَمُورُ السُّمَمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا } ، وقوله تعالى : { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً } ، وقوله تعالى : { وَسَيَّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا } ، وقوله تعالى : { وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } . . . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { صُذِّعَ اللَّامِ الْذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } ، جاء نحوه في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } ، وقوله تعالى : { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ } ، وتسير الجبال وإيجادها ونصبها قبل تسيرها ، كل ذلك صنع متقن . . . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { إِنَّ زَنْهَ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } ، قد قدّمنا الآيات التي بمعناها في أوّل سورة (هود) ، في الكلام على قوله تعالى : { أَلَا إِنَّ زَنْهَ يَتَذُنُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّوْا مِنْهُ } ، إلى قوله : { إِنَّ زَنْهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } . { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا } . اعلم : أن الحسنة في هذه الآية الكريمة ، تشمل نوعين من الحسنات : . الأول : حسنة هي فعل خير من أفعال العبد ، كالإنفاق في سبيل الله ، وبذل النفس والمال في إعلاء كلمة الله ، ونحو ذلك ، ومعنى قوله تعالى : { فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا } ، بالنسبة إلى هذا النوع من الحسنات ، أن الثواب مضاعف ، فهو خير من نفس العمل ؛ لأن من أنفق درهماً واحداً في سبيل الله فأعطاه الله ثواب هو سبعمئة درهم فله عند الله ثواب هو سبعمئة درهم مثلاً ، خير من الحسنة التي قدمها التي هي إنفاق درهم واحد ، وهذا لا إشكال فيه كما ترى .